مكتبة المنيرة
قسم الدوريات

حولية

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

العدد الثامن
١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

الخط العربي

تطوّره ، مشكلاته ، محاولات إصلاحه

الدكتور عبد الحسين المبارك
أستاذ مساعد كلية التربية
جامعة البصرة

أصل الخط العربي :

اختلف المؤرخون من عرب ومستشرقين في أصل الخط العربي ومنشئه اختلافاً كبيراً وظهرت من خلال البحث والتحري آراء متناقضة لعل مردها إلى قلة النصوص المكتوبة التي وصلت إلينا لتكون دليلاً مؤكداً أصل هذا الخط وعائديته .

إن في القرآن الكريم إشارات إلى معرفة العرب القراءة والكتابة ، ففي قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾[3] ، دليل على تلك المعرفة ، وان اللغات كلها توقيفية من الله سبحانه وتعالى ، وتبعاً لهذا يكون الخط توقيفياً كذلك .

---

(١) سورة العلق ـ الآيات ١ ــ ٤ .

(٢) سورة القلم ـ الآية الأولى .

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٣١ .

ويكون آدم عليه السلام حسب هذا المعتقد أول من خط بالقلم من البشر ، ولكن لا يُدرَى ما نوع ذلك الخط الذي خطه ، ولا متى ؟ ولا أي لغة كتب بها ؟ غير أنه جاء في الفهرست[٤] : « إن أول من وضع الكتابة العربية والفارسية والسريانية والعبرية وغيرها من الكتابات آدم عليه السلام ، وضع ذلك قبل موته بثلثمائة سنة ، وكتبه في الطين وطبخه ، فلما أصاب الأرض الطوفان سلم فوجد كل قوم كتابتهم فكتبوا بها »[٥] .

وبقيت الكتابة العربية إلى أن خص الله بها إسماعيل فأصابها وتعلمها . . إن ما وصل إلينا من خيوط المعرفة عن الكتابات الجاهلية ، ونوع أبجديتها ، والأقلام التي خطت بها كلها ترجع إلى قلمين هما :

القلم المسند الذي دونت به الكتابات المعينية ، والسبئية ، والحميرية ، والقتبانية ، والأوسانية ، وكلها لهجات جنوبية .

والقلم المشتق من الخط الارمي المتأخر . وهو خط النبط ، وبهذا القلم كتبت النصوص الخمسة التي هي أقرب الكتابات الجاهلية لهجة إلى لهجة القرآن الكريم . أما النصوص الثمودية ، والصفوية ، واللحيانية ، فإنها مدونة بقلم مشتق من القلم المسند ، ولذلك فهي من تلك الدوحة ومن ذلك الأصل .

والذي نعرفه عن القلم المسند أنه أقدم عهداً من القلم الثاني ، ويتكون القلم المسند من تسعة وعشرين حرفاً كلها صامته « وهي في نظر علماء الساميات الفرع الجنوبي للخطوط السامية »[٦] .

---

(٤) الفهرست ٧ وأدب الكتاب للصولي ٢٨ .

(٥) أدب الكتاب للصولي ٢٨ .

(٦) تاريخ العرب القديم ـ د . جواد علي ٣٦/٧ وما بعدها .

أما التحديد التاريخي لوقت ظهور الكتابة وانتشارها عند العرب فلم تعطنا الروايات التاريخية صورة عن تطورها أو الأصل الذي وقفت عنده ، والتاريخ لا يسعفنا بالدليل المادي المجمع عليه بتعيين ذلك الوقت ، غير أننا نعرف عن العرب في العصور السابقة للإسلام ـ وكما أشرنا إليه من قبل ـ أنهم كانوا «يكتبون» وهذا دليل على رقيهم الحضاري ، وشواهدنا على ذلك ما ورد في شعرهم ، فقد ورد في شعر حاتم الطائي قوله :

أتعرف أطْلالاً ونُؤياً مُهَدَّما ... كَخَطِّكَ في رِقٍّ كتاباً مُنَمْنَماً[٧]

وقول عبيد بن الأبرص :

لِمَن الدارُ اقفرتْ بالجنابِ ... غير نؤيٍ ودمنةٍ كالكتاب
غيَّرتْها الصبا ونفحُ جَنوبٍ ... وشمالٍ تذرو دِقاقَ التراب[٨]

وقوله كذلك :

لِمَنْ دِمنَةٌ اقوت بِحَرَّة صَرْغَدِ ... تلوحُ كعنوان الكتابِ المجدّدِ[٩]

وقول عنترة :

أَلا يا دارَ عبلةَ بالطَّوِيّ ... كرجع الوَشْمِ في رُسُغِ الهدِيّ
كَوَحْي صَحائفٍ من عهد كسرىٰ ... فأهداها لأعجمَ طُمْطُميّ[١٠]

وقول لبيد بن ربيعة العامري :

وَجَلا السيول عَنِ الطلولِ كَأنَّها ... زُبُرٌ تجد متونَها قَلامُها[١١]

---

(٧) ديوان حاتم الطائي ٢٣٣ .
(٨) ديوان عبيد ٤١ .
(٩) المصدر نفسه ٦٥ .
(١٠) ديوان عنترة ٢٦٨ .
(١١) ديوان لبيد ١٥١ .

وقــول المرقش الأكبـــــر :

الــدَّار قَفْــرٌ والــرســومُ كَمــا رَقَّشَ في ظَهْــرِ الأديــم قَلَمْ[١٢]

« فمما لا شك فيه أن عرب الجاهلية عرفوا الكتابة والقراءة ، وألموا بكثير من ثقافات الأمم المجاورة ولكن تاريخ هذه الكتابة ، أو بعبارة أخرى الأصل الذي انحدر منه الخط العربي لا يزال يكتنفه[١٣] كثير من الغموض على الرغم من تلك النقوش التي اكتشفت في أماكن عديدة من أنحاء الجزيرة العربية .

كما لا تفصح الإشارات التي تدل على استعمالهم الكتابة عن الأصول الأولى للخط العربي ، وإن أقر العلماء أن القلم المسند هو قلم العرب الأول .

أما مادة الكتابة فقد كانت المعادن والأحجار والصخور والخشب عند العرب الجنوبيين . يقول الدكتور جواد علي[١٤] ، « ولم أسمع أن أحداً من الاثاريين حتى الآن عثر على كتابات بالمسند مدونة بالحبر على القراطيس والجلود والرق على نحو ما كان يفعله المصريون وغيرهم . . . ومرد السبب في عدم وصول شيء من الكتابات المدونة على تلك المواد إلى قابلية هذه المواد للتلف ، وحاجتها إلى العناية الشديدة » . .

غير أن ما وصل إلينا من الشواهد الشعرية يثبت معرفتهم الكتابة ـ كما مرّ ـ وكقول عبد الله بن عَنَمة الضبِّي :

فلمــا رأيتُ الدَّارَ قَفْــراً سألْتُهــا فَعَيَّ علينــا نؤيُهــا ورمــادُهــا[١٥]

فــلم يبــقَ إلاَّ دمنــةٌ ومنــازلٌ كما ردّ فى خط الدواةِ مـدادُها

(١٢) المفضليات ٢/٣٧ ط دار المعارف .

(٢٣) السمات الحضارية في شعر الأعشى ٣٠٠ .

(١٤) تاريخ العرب القديم ٧/٥٣ .

(١٥) الأصمعيـــات ٢٢٦ .

وكقـــول سلامـــة بن جنـــدل :

لِمَنْ طَلَلٌ مثـلُ الكتابِ المُنَمَّقِ خلا عهدُهُ بينَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرِقِ
أَكَبَّ عَلَيْـهِ كـاتـبٌ بِـدَواتِـهِ وحادثة في العَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ[16]

وقـــول ثعلبة بن عمرو العبدي :

أَكَبَّ عليهـا كـاتبٌ بـدواتِـهِ يُقيمُ يـديهِ تـارةً ويُخـالفُ[17]

وقد اشتق من الخط المسند كل من خط : الثمودي ، واللحياني ، والصفوي ـ كما ذكرنا من قبل ـ بدليل ما وجد منه في الكتابات الثمودية واللحيانية والصفوية في المناطق التي كانت تحت حكم السبئيين والمعينيين .

وقد عدل أهل أعالي الحجاز في الخط المسند ولم ينقلوه نقلاً تاماً ، ولهذا قسم كاسكل (Werner Kaskel) كتابات القلم اللحياني إلى قسمين ، كتابات لحيانية متقدمة ، وكتابات لحيانية متأخرة[18] .

« والبحث في أصل المسند مثله في أصل الخط لا يزال موضع جدل بين العلماء الباحثين في العربيات الجنوبية ، فمنهم من يرجع أصله إلى الخط الفينيقي ، ومنهم من يرجعه إلى كتابات سيناء حيث عثر فيها على كتابات قديمة جداً يعدها الباحثون أقدم عهداً من الكتابات العربية الجنوبية ، وقد وجد بين بعض حروف هذه الكتابات وحروف المسند شبه جعلهم يذهبون إلى اشتقاق المسند من خطوط سيناء ، ومنهم من يذهب إلى اشتقاق المسند من الخط الكنعاني للتشابه بين بعض حروف الخطين »[19] .

إن التاريخ يحدثنا عن القبائل التي كانت تسكن اليمن وبقية أنحاء الجزيرة

(١٦) ديوان سلامة بن جندل ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(١٧) المفضليـــات ٢٨١ .
(١٨) تاريخ العرب القديم ٥٤/٧ .
(١٩) المصدر نفسه ٥٥/٧ .

العربية . ولكن لا توجد أدلة تجزم بأصل الخط أو الوقت الذي تفرقت فيه القبائل في مناطق وجودها الجديدة وحملت معها كتاباتها وأثرت في مناطق سكانها ، لاختلاف العلماء في حل رموز نقوشها التي وجدت حيث لم يفلحوا في الوصول إلى نتائج حاسمة لكونها « أجزاء من نقوش لا نقوش كاملة ، وجل كلماتها واصطلاحاتها في غاية الإبهام »[٢٠] .

غير أن تلك الكتابات عربية حيث يوجد فيها حرف الذال والضاد والثاء والغين كما يوجد فيها افعل التفضيل وعلامة التنبيه التي هي من الخصائص البارزة للغة العربية[٢١] .

إن ما يقره الواقع أن الخط النبطي جاء في أعقاب الخط المسند حيث انصرف العرب عنه ومالوا إلى القلم النبطي الذي كان أسهل في الكتابة من المسند ، ونحن نعلم أن اليهودية والنصرانية كانتا منتشرتين في الجزيرة العربية وقد عدتا من « جملة العوامل التي ساعدت على انتشار هذا الخط بين العرب »[٢٢] .

وفيما يلي نجمل القول عن الروايات المختلفة التي تحدثت عن نشأة الخط العربي استناداً إلى ما أورده الدكتور جواد علي منها[٢٣] :

١ ـ كان منشأ الخط في اليمن ، ومنها انتقل إلى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة ، ومنها إلى الأنبار ، ومنها إلى الحجاز ، وهو الخط المسند الذي أخذته قريش وأهل الطائف عن الحيرة .

---

(٢٠) تاريخ اللغات السامية ١٧٧ .

(٢١) المصدر نفسه .

(٢٢) تاريخ العرب القديم ٥٥/٧ .

(٢٣) المصدر نفسه ٥٦/٧ ـ ٧٠ .

٢ - ان الخط الذي دون به القرآن الكريم هو القلم المعروف بـ «الجزم» سمي بذلك لأن مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وهم من طيء من «بولان» سكنوا الأنبار واجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة ، فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام ، وقد تعلمه أهل الكوفة[٢٤] وترجع هذه الرواية كالرواية السابقة أصل خط العرب في العراق إلى المسند ، ثم ترجع علم أهل الحجاز بالخط إلى أهل العراق .

٣ - وأرجع بعض العلماء علم أهل مكة بالخط إلى اياد من أهل العراق ، قالوا : إنهم كانوا يكتبون ، ورووا في ذلك شعراً نسبوه إلى أميَّة بن أبي الصلت ، منه :

قـومٌ لهم سـاحـةُ العـراقِ إذا سـارُوا جميعـاً والـخَطُّ والقَـلَمُ

٤ - أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل ، وضعه على لفظه ، ومنطقه موصولاً حتى فرق بينه ولده هميسع وقيذر[٢٥] .

٥ - أول من وضع الكتاب نفيس ونضر ، وتيماء ، ودوحة ، هؤلاء ولد إسماعيل ، وضعوه مفصلاً وفرقه قادور بن هميسع بن قادور .

٦ - أول من وضع الخط العربي أبجد ، وهوَّز ، وحطي ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، وهم في رأي الإخباريين قوم من الجبله الاخرة ، وقيل إنهم بنو المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين ، وكانوا نزولاً في عدنان بن أد ؟ فكان « أبجد » ملك مكة ، وما يليها من الحجاز

---

(٢٤) الفهرست ٧ ومقدمة ابن خلدون ٤٦٨ .

(٢٥) الفهرست ٧ .

و « كلمن » و « سعفص » و « قرشت » ملوكاً بمدين ، وقيل ببلاد مضر ، فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم ؟ وهي الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين ، فسموها الروادف ، فترجع هذه الرواية أصل الخط إلى جماعة من أهل مدين أي إلى شمال الحجاز ، لا العراق .

٧ ـ وهناك من روى أن النفر الثلاثة من طي ، وهم : مرامر ، وأسلم ، وعامر . إنما وضعوا الخط في العربية قياساً على هجاء السريانية ، وهذه النظرية هي أقرب آراء أهل الأخبار إلى رأي أغلب المستشرقين .

٨ ـ كانت الكتابة قليلة في الأوس والخزرج قبل الإسلام ، وقد دخلت بينهم من اليهود ، وكان يهودي من يهود مكة قد علمها ، فكان يعلمها الصبيان فجاء الإسلام ، وفيهم بضعة عشر يكتبون منهم : سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن مالك . . . وغيرهم ، وكان زيد يكتب الكتاب بالعربية ، وبالعبرية أو السريانية ، وكان يقرأ على النبي ﷺ كتب يهودٍ ويجيبهم عنه .

٩ ـ كان الخط العربي من عمل ثلاثة نفر من طيء من بولان وهي قبيلة سكنت الأنبار ، وهم : مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة . اجتمعوا فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من أها الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أها الأنبار وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم منها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ،

(٢٦) الفهرست ٧ وصبح الأعشى ١٥١/٣١ .

ثم أتى إلى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة من كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا . . ومجمل هذه الآراء أن أهل الخط من العراق ، من الحيرة أو الأنبار ، ابتكره رجال من العرب أو وضعوه قياساً على أبجدية السريان ، ومن ثم انتقل إلى الحجاز في عهد لم يكن بعيداً عن الإسلام . غير أن الدكتور جواد علي يقول[٢٧] :

« واشتقاق الخط الحيري أو خط أهل الأنبار من القلم المسند قضية لا يمكن الأخذ بها ، فبين الخطين تفاوت كبير في الشكل ، وهو تفاوت ينفي وجود صلة بينهما ، ويثبت على العكس أن ذلك الخط من الخطوط التي اشتقت من أقلام الشمال أي من الأقلام التي كانت شائعة في العراق وفي بلاد الشام » .

إن الكتابات القديمة التي وصلت إلينا في بلاد الشام توضح أنها كانت مأخوذة من قلم بني ارم ـ وهي متأثرة بالثقافة النبطية ، وأقدم نص يعود إلى ٢٥٠ للميلاد في موضع يدعى أم الجمال ، ونقش آخر هو نقش النمارة ويرجع تاريخه إلى ٣٢٨ للميلاد ، ونقش زيد ويعود تاريخه إلى ٥١٢ للميلاد ، ثم كتابة حران وتاريخها ٥٦٨ للميلاد .

وعن طريق المقارنة بين هذه الخطوط ودراستها أمكن التوصل إلى معرفة تطور الخط العربي واشتقاقه من الخط النبطي .

وخلاصة تلك المقولات تعطي تفسيراً « واضحاً » وبخاصة كتابة أم الجمال الأولى أن العرب كانوا يستعملون لغة النبط ، في كتابتهم ، والنص الثاني أي نقش النمارة هو نقش عربي نبطي ، أما نقش حرّان فهو النص

(٢٧) تاريخ العرب القديم ٦١/٧ .

الوحيد الذي تحرر من لغة النبط وكتب بلغة عربية شمالية قريبة من اللغة التي أنزل فيها القرآن أي لغة القرن الأول الهجري .

ومن النتائج التي يخلص إليها البحث في هذا الموضوع يتضح مقدار الشبه ودرجة القربى بين الأبجديات السامية المختلفة ، وبالتالي فإنها تعود إلى أبجدية واحدة اعتمدتها جميع الشعوب السامية ، غير أن تقادم العهد وابتعاد تلك الشعوب بعضها عن بعض في الفترات التاريخية أدىٰ إلى ذلك الاختلاف في الأبجديات .

وبالرغم من المتناقضات في الآراء في الربط بين الخط العربي والخط السرياني[٢٨] ، أو الخط العربي والمسند ، فإننا نرىٰ أن شكل الخط العربي ، وتركيب الكلمة العربية تختلف اختلافاً كبيراً عن الحرف المسند الحميري أو فروعه التي عرفت عند الثموديين والصفويين واللحيانيين[٢٩] .

أما عن اتصال الحيرة بمكة وبقية مدن الحجاز فأمر بعيد بعد الحيرة عن مكة غير أن ما يمكن الاطمئنان إليه هو التقدم الحضاري في الحيرة إذا علمنا أن أهلها كانوا يدينون بالنصرانية ويكتبون بالسريانية أو بما سمي الخط الحيري ، فلو انتقلت الكتابة من الحيرة لانتقلت السريانية أو ما يقابلها . . . ولا بد في مثل هذه الأمور الحضارية من اتصال مباشر ودائم ، ولم يكن الأمر كذلك بين مكة والحيرة[٣٠] .

إن الدراسات المقارنة توصلت إلى أن الخط العربي هو شكل من أشكال الخط النبطي فعنه أخذ صوره ، ومنه تطور .

---

(٢٨) ينظر بشأن ذلك فتوح البلدان ٣/٥٧٩ ، وأصل الخط العربي - يحيى نامي ٤ - وأصل الخط العربي - سهيلة الجبوري ٢٦ - ٢٧ .

(٢٩) نشأة الخط العربي قبل الإسلام د . صلاح الدين المنجد ١٢ .

(٣٠) المصـــدر نفســـه .

لقد قيل الكثير عن جهل العرب أمور الكتابة ، وبخاصة قبل الإسلام ، حيث كانوا أمة بدوية حسبما جاء في الروايات التاريخية ، غير أن هذه الحالة لا تعني أن جميع العرب كانت حياتهم بعيدة عن التحضر والاستقرار ، فقد كان في الحجاز من عرف الكتابة واتصل بالأمم المحيطة بهم من الذين خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة ، فالأنباط الذين هم بالأصل عرب الشمال كتبوا بالخط النبطي ، وحمير باليمن كتبوا بالخط المسند[٣١] . وهذان الخطان في نظر المؤرخين أصل الخط العربي لا سيما الخط النبطي الذي أيَّدته النقوش ، وأكدته الآراء غير أننا لا نبعد آراء المستشرقين الذين رجح بعضهم نشأة الخط العربي من الخط المصري القديم المعروف بالهيروغليفي ، كما أرجعه بعضهم إلى الخط العربي البابلي ، ومنهم من توصل إلى أصل الحروف الهجائية من طور سيناء . ومنه تفرعت بقية الخطوط .

« ولم يعثر حتى الآن على نصوص جاهلية تعين العلماء على معرفة تطور الخط العربي قبل الإسلام ، وكل ما هنالك أنهم يقومون بملاحظة خطوط الأبجديات وتركيبها بغية التوصل إلى نتائج أقرب إلى الأسلوب العلمي ، ومن ذلك ملاحظتهم أن العرب في صدر الإسلام كانوا يعلمون أولادهم الكتابة على طريقة : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، والتي كان يتبعها السريان واليهود ، كما استدل العلماء على أن الخط العربي الشمالي مأخوذ من بني ارم ، وذلك بتعبير الكتاب عن الأرقام بالحروف . . . »[٣٢] .

وهكذا تتوزع الآراء والاجتهادات في نشأة الخط العربي غير أنها تقف عند حد تجعل معه حلقة مفقودة من سلسلة التطور لهذا الخط قبيل الإسلام مما

---

(٣١) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي ـ عبد الفتاح عبادة ٧ .
(٣٢) السمات الحضارية في شعر الأعشى ٣٠٦ .

يجعلنا نذهب إلى القول : إن الخط العربي بدء يتضح شيئاً فشيئاً ليكون السمات العربية البعيدة عن الخط النبطي كالذي وجدناه في نقش النمارة ، وحرّان .

إن تعدد تلك النقوش واختلاف كتابها لا يعني أن أصلها وأصولها مختلفة « فالظواهر اللغوية التي تتفق فيها كل اللغات السامية لا بد أنها موروثة في كل هذه اللغات المختلفة عن أصل واحد مشترك ، وهذا الأصل الواحد المشترك هو تلك اللغة التي وجدت في جزيرة العرب قبل هجرة الجماعات السامية التي عرفت في العراق فيما بعد باسم الاكاديين ، أي أن هذه الخصائص المشتركة ترجع إلى ما قبل ٢٥٠٠ق.م . ومعنى هذا أنه إذا اتفقت كلمتان أو صيغتان صرفيتان في العربية والاكادية فهذا يعني بالضرورة أن اللغتين الاكادية والعربية قد ورثتا هذا الشيء المشترك عن اللغة السامية الأم »[٣٣] .

إن الحروف العربية الأولى التي تطورت عن الحروف الهجائية الأرامية دخلها تحوير جديد لم يكن موجوداً فيها من قبل ، فقد أضيف إليها حروف أسماها العرب « الروادف » وسلكوا في ترتيبها مسلكين هما : الترتيب أو التسلسل الأبجدي وهو :

أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت .

جمعتها ألفاظ ست هي : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

ثم أضيف إليها الحروف الخاصة بالعرب وهي : ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ . التي سميت الروادف ، ويجمعها لفظتان هما « ثخذ » و « ضظغ » .

---

(٣٣) اللغة العربية عبر القرون ٢٤

وسمي بالترتيب الأبجدي لبدئه بلفظة « أبجد » .

أما الترتيب الآخر فهو : أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي .

وعدد أحرفه ثمانية وعشرون حرفاً ، وهذا هو التسلسل الذي اعتمد التشابه في صور الحروف أساساً ، وقد استخدمه العرب ، بعد استخدام الاعجام .

الخط العربي بعد الإسلام :

ظهرت الحاجة إلى استعمال الخط بظهور الإسلام ، واحتياج المسلمين إليه في كتابة الوحي ، والرسائل التي كان يبعثها الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وقد كان الرسول ﷺ محباً لتعليم الكتابة ، يظهر ذلك خلال طلبه إلى أسرى واقعة بدر أن يعلم كل كاتب منهم عشرة من صبية أهل المدينة . « وقد نهج أصحاب الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده هذا المنهج فكان أكثر النشء الذي نشأ في عهدهم يعرف الكتابة ، فخرج منه كتاب الدواوين وكتاب الرسائل ، وكتاب القرآن ، أما الخلفاء أنفسهم فكانوا يعرفون الكتابة وقد كتبوا للرسول ﷺ[٣٤] .

وقال محمد بن إسحاق[٣٥] : « أول الخطوط العربية الخط المكي ، وبعده المدني ، ثم الكوفي » .

أما أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط فخالد

---

(٣٤) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي ، والعالم الغربي ١٢ .

(٣٥) الفهرســـت ٩ .

أبن أبي الهياج . . ومالك بن دينار ، وكان يكتب المصاحف بأجرة »[٣٦] .

واتخذ الرسول ﷺ كتّاباً يكتبون رسائله إلى الملوك والأمراء « وقد بلغ عدد كتاب الرسول ﷺ اثنين وأربعين كاتباً ، وأول من كتب له أُبّي بن أبي كعب ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب ـ وكتب فلان . . . »[٣٧] .

ومن أشهر كتّاب الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن ثابت ، وشرحبيل بن حسنة ، وغيرهم .

وقد عثر على نصوص من رسائل الرسول ﷺ التي وجهها إلى بعض الملوك والأمراء منها رسالته إلى المنذر بن ساوي أمير البحرين ، وكتابه إلى المقوقس حاكم الاسكندرية والنجاشي ملك الحبشة »[٣٨] .

أما أقدم نص عربي إسلامي عثر عليه منقوشاً على حجر « فهو حجر كشف في مصر ومحفوظ الآن بدار الآثار العربية ، وتدل عباراته على أنه كان نصباً على قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خبر أو جبر أو جابر أو جبير الحجري أو الحجازي ويرجع تاريخه إلى سنة ٣١هـ . . . وهذا نصه :

١ ـ بسم الله الرحيم ، هذا القبر

٢ ـ لعبد الرحمن بن خبر الحجري ، اللهم اغفر له

٣ ـ وأدخله في رحمة منك ، وآتنا معه

٤ ـ استغفر له إذا قرء هذا الكتاب

٥ ـ وقل آمين وكتبه هذا

٦ ـ لكتب (الكتاب) في جمدى (جمادى)

---

(٣٦) المصـــدر نفسه ٩ .

(٣٧) الخط العربي ـ سهيلة الجبوري ـ ٢٩ .

(٣٨) يراجع نص كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوي في « الخط العربي ص ٣٠ » .

٧ ـ خر (الآخرة) من سنت (سنة) احدى و

٨ ـ ثلثين (وثلاثين)[٣٩]

وقد تضمن هذا النقش بعض مظاهر الإصلاحات التي دخلت على الخط العربي خلال المراحل الأولى قبل مرحلة الإعجام ، والإشارة إلى أصوات المد الطويلة .

ثم أخذ الخط العربي في التحسن والتطور على أيدي الخطاطين الذين جودوه ، وعرفوا به وقد انتشر بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وكتبت به المصاحف الإسلامية ، وأشهرها المصحف الإمام مصحف الخليفة عثمان الذي حافظ على الرسم القرائي حتى يومنا هذا .

واشتهرت الكوفة ومكة والمدينة والبصرة بصورة خاصة بصفتها مراكز لانتشار الخط بين مدن العالم الإسلامي ، ومنها امتد مع امتداد رقعة الإسلام إلى سائر بلدان الخلافة الإسلامية .

ولسنا هنا في معرض الحديث عن التطورات التي رافقت الخط العربي ، وكيف تكونت الأقلام العربية ، ومن هم أشهر الخطاطين الذين جهدوا في سبيل تطويره والتفنن في إظهار أشكال حروفه كالذي عرفناه عن الوزير أبي علي محمد بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨هـ ، وعلي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣هـ ، وياقوت بن عبد الله الروحي المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨هـ . فالحديث عن ذلك معروف ومشهور .

ثم أصبحت الأقلام المهجنة في العالم الإسلامي كثيرة غير أن شهرتها « تعد في اثنين هما الخط الكوفي ، والنسخي ، تفرعت منهما أقلام كثيرة بلغت في

(٣٩) فقـــه اللغة ـ وافي ٢٥١ ـ ٢٥٣ .

القرن السابع للهجرة وما بعده ستة أقلام هي : الثلث ، والنسخ ، والتعليق ، والريحاني ، والمحقق ، والرقاع »[٤٠] . ثم جاء الديواني ، والفارسي والدشفي .

وباختلاف الأزمان والعصور تعاقبت على تطوير الخط العربي أقلام كثيرة هيأت للكاتب أسباب الرسم ، وللرسم أسباب الثبوت والاستقرار بعد أن تمَّ الإعجام ، والتنقيط ، والشكل والترقيم ووصل الخط إلى مرحلة لا يحتاج بعدها إلى تطوير أو دعوة إلى التطوير بالرغم من الدعوات المضللة التي سنشير إلى بعض منها لاحقاً .

الحركات والنقط والإعجام :

إن عدة حروف المعجم في العربية تسعة وعشرون حرفاً ، وضعت على تسعة عشر شكلاً ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة الحرفان ، كالدال والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين . ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة كذلك منها الثلاثة كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لا يلتبس حالة الافراد ، فإذا ركب ووصل بغيره التبس كالنون والقاف فإن النون في حالة الإفراد منفردة بصورة ، فإذا ركبت مع غيرها في أول كلمة أو وسطها اشتبهت بالباء ، وما في معناها . والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس فإذا وصلت بغيرها أولاً أو وسطاً التبست بالفاء فاحتيج إلى مميز يميز بعض الحروف من بعض من نقاط أو إهمال ليزول اللبس ، ويذهب الاشتراك .[٤١]

وما كان الشكل لولا الحاجة إليه ، وإبعاد القارىء عن مواضع الالتباس ، ولعل العرب الأوائل ما كانوا يميلون إليه ، وربما تصوروه منقصة بالمرسل إليه

(٤٠) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ١٦ .
(٤١) انظر الفهرست ١٥٠ وصبح الأعشى ١٤٩/٣ .

لكثرة الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ، فوضع بأمر الحجاج من قبل وسوء ظنّةٍ به : « وقد حكى المدائني عن بعض الأدباء أنه قال : كثرة النقط في الكتابة سوء ظن بالمكتوب إليه »[٤٢] .

أما تاريخ النقط أو الإعجام فيعود إلى نشأة الكتابة ، وقصة وضع الحروف من قبل ثلاثة من رجال قبيلة بولان هم : مرار بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وقد وضع مرار الصور ، ووضع الوصل والفصل أسلم ، ووضع عامر الإعجام ، ويفهم من هذه الرواية أن الإعجام وضع مع وضع الحروف[٤٣] .

وتذهب الرواية الأخرى إلى وضع الشكل المعروف بنقط المصاحف من قبل أبي الأسود (٦٩هـ) في زمن الإمام علي أو ابن زياد ، وهي تعني أن الحروف وضعت في أول نشأتها عارية من النقط أو الحركات غير أن فشو اللحن واستفحال أمره دعا المسلمين إلى التفكير بصون كلامهم المكتوب ، فكان ما كان من أمر أبي الأسود الدؤلي مع زياد بن أبيه حينما دعاه إلى وضع شيء يصلح به كلام الناس وامتناع أبي الأسود بادىء الأمر عن ذلك ، وعودته إليه بعد أن رأى أعرابياً يقرأ :

﴿ إن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ بالكسر فطلب من ابن زياد أن يأتيه بكاتب لقن ، فوجده في بني عبد القيس[٤٤] ، وطلب منه أن يأتي بالمصحف ومداد يخالف لون مداد المصحف ، وقال له : استمع إليَّ فإذا وجدتني فتحت شفتي بحرف فاجعل نقطة فوقه ، وإذا أنا كسرتها عند نطقي بالحرف ، فاجعل نقطة تحته ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف الذي نطقت به ،

---

(٤٢) صبح الأعشى ٣/١٥٠ .

(٤٣) تنظر هذه الرواية في صبح الأعشى ٣/١٥١ .

(٤٤) المصـــدر السابق .

وإذا اتبعت شيئاً من الحركات « غنة » أي تنويناً ، فاجعل النقطة نقطتين ، وكلما فرغ من صفحة راجعها أبو الأسود حتى فرغ من نسخ المصحف على هذه الصورة .

إن عدد الحركات لم يكن معروفاً عند أبي الأسود ، ولا كان معروفاً عند من سبقوه ولكنه بتجربته الميدانية التطبيقية توصل إلى عدد هذه الحركات كما توصل إلى معرفة التنوين وتم الرمز للحركات بالنقاط على يده كالآتي :

١ ـ الفتحة ، ورمزها نقطة فوق الحرف ـ ◆ ـ

٢ ـ الكسرة ، ورمزها نقطة تحت الحرف ـ ◆ ـ

٣ ـ الضمة ، ورمزها نقطة بين يدي الحرف ـ ◆

٤ ـ التنوين بالفتحة ، ورمزه نقطتان فوق الحرف ـ ◆◆ ـ

٥ ـ التنوين بالكسرة ، ورمزه نقطتان تحت الحرف ـ ◆◆ ـ

٦ ـ التنوين بالضمة ، ورمزه نقطتان بين يدي الحرف ـ ◆◆

ومما يجب التنويه عنه أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من أطلق لفظة « غنة » لتعني التنوين[٤٥] أما الحرف الساكن فقد تركه[٤٦] .

أما شكل هذه النقط فقد اختلفت صوره . فمنهم من رسمها مدورة مسدودة الوسط ، ومنهم من جعلها مدورة مجوفة الوسط ، وزاد أهل المدينة الحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه إلى أعلى توضع فوق الحرف المفتوح المكسور ، وعلى يسار الحرف المضموم ، ثم زيدت علامات أخرىٰ فوضع للسكون جرة أفقية فوق الحرف[٤٧] وقد اتبع أهل مكة طريقة أبي الأسود في نقط المصاحف ، وتبعهم أهل البصرة ثم المدينة ، وكانوا يرسمون هذه

(٤٥) المجلة العربية للثقافة مارس ١٩٨٣ .

(٤٦) الفهرست ٤٥ وقصة الكتابة ٥١ والبحث اللغوي عند العرب ٦١ .

(٤٧) نشأة وتطور الكتابة الخطية ٩١ .

الحركات باللون الأحمر ، وخصّوا الهمزة باللون الأصفر ، فيما اقتصر أهل العراق على اللون الأحمر للحركات والهمزات ونحن لا نرجح أن يكون أبو الأسود قد استعان بطريقة السريان في وضع رموز الشكل للكتابة العربية نظراً لمخالطته لهم (٤٨).

كما أننا لا نميل إلى الأخذ بالآراء التي تسلب علماءنا قدراتهم على التجديد والابتكار ، فليس كثيراً على أبي الأسود أن يصنع نظاماً خاصاً بالحركات ، وهو العالم الذي وضع أسس النحو العربي .

وقد ظلت طريقة أبي الأسود مستعملة في الكتابة العربية حسب أمزجة الكتاب ومقاصدهم إذ تقيد من تقيد بها حتى مجيء الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) الذي وضع رموزه الخاصة التي اقتطعها من صور الحروف ، فللفتحة ألف مضطجعة فوق الحرف ، وللكسرة ياء تحته وللضمة واو أعلاه ، وللسكون دائرة تشبه الميم التي تشير إلى الجزم الذي اقتطعت منه ، وللتشديد رأس شين إشارة إلى التشديد ، وللهمزة رأس عين ، وللوصل رأس صاد ، إشارة إلى لفظة « صل » وللمد ميم ودال متصلتان على الحرف الممدود تشير إلى لفظة « مد » كما وضع الخليل علامة الإمالة على شكل دائرة مفتوحة تحت الحرف الممال ـِـ مثل مجراها .

إن عملية تطويع الحرف العربي للتعبير عن الأصوات المختلفة وبخاصة الأمم التي دخلت في الإسلام ما كانت لتتم لولا البدايات التي بدأها أبو الأسود ، ومن ثم محاولات الخليل ، ومن جاء بعدهما وتولى عملية إصلاح

(٤٨) أطوار الثقافة والفكر ٤٣٥ ، وقد أشار إلى ذلك أنيس فريحة في كتابه « في اللغة العربية وبعض مشكلاتها » ص ١٥٦ بقوله : « ولا شك بأن العرب أخذوا الفكرة عن جيرانهم من الشعوب السريانية . . . » .

الحرف العربي .

أما الإعجام فيعود تاريخه إلى زمن عبد الملك بن مروان حينما كثر التصحيف تلميذي أبي الأسود : نصر بن عاصم (٨٩هـ) ويحيى بن يعمر (١٢٩هـ) لتمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فتم وضع النقط أو الإعجام فوق أو تحت الحروف أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها وهكذا ظل الناس يكتبون حروفاً منقوطة . « ونقطت الحروف بنفس مداد الكتابة لأن نقط الحرف جزء منه »[٤٩] .

بلغ عدد الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفاً بعدد منازل القمر المختفية وهي الأربعة عشر التي تحت الأرض[٥٠] ، والواحدة تحت الشعاع إشارة إلى أنها تحتاج الإظهار لاختفائها وهي : الباء والتاء والثاء والجيم والخاء والذال والزاي والشين والضاد والظاء والغين والفاء والقاف والنون والياء . . .

وقد رسم أتباع نصر بن عاصم النقط بصور مختلفة ، فقد رسمها بعضهم مدورة مسدودة الوسط ، وجعلها بعضهم مدورة خالية ، وبعضهم جعلها على شكل معين[٥١] هكذا ● ○ ◆

ويرى بعضهم أن للنقط صورتين إحداهما على شكل مربع والآخر مستدير[٥٢] .

وكما اتخذ لون الحمرة من قبل للشكل اتخذ لون الحمرة والصفرة للنقط ، فقد اتخذت الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد ، كما جعلت الصفرة للهمزات خاصة[٥٣] .

---

(٤٩) صبح الأعشى ١٥٦/٣

(٥٠) انظر التنبيه على حدوث التصحيف ٣٦ .

(٥١) تاريخ الخط العربي وادابه ٧٧ .

(٥٢) صبح الأعشى ١٥٥/٣ والخط العربي ـ سهيلة الجبوري ٥٩ .

(٥٣) المقنـــع ١٢٦ .

وفيما يتعلق بوضع النقاط على الحروف فقد كان يتم بموجب نظام خاص متعارف عليه بين الكتاب . فإذا كانت نقطتان على الحرف وضعت إحداهما فوق الأخرى أو موازية لها إلاَّ إذا كان الحرف المنقوط مجاوراً حرفاً آخر منقوطاً فيتحتم وضع نقطة فوق أخرى حتى لا يحصل التباس في الأشكال فتزحف النقطة من موضعها إلى الحرف المجاور .

وإذا كان الحرف من ذوات الثلاث النقاط كالثاء مثلاً وضعت بشكل هرمي أي واحدة فوق اثنتين ، أما الشين فيجوز وضع نقاطه في سطر واحد أو وضع واحدة فوق اثنتين وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة كما يقول القلقشندي[٥٤] .

وبهذا استطاع العرب المسلمون صون لغة القرآن الكريم والحفاظ على الكتابة العربية من عجمة الدخيل بعد أن ظلوا دهراً يستخفون بمن يحاول وضع الشكل ويعدونه عيباً في المرسل إليه ، وانتقاصاً منه . وإزراءً بالمكتوب إليه . وقد « كره الكتاب الشكل والإعجام إلاَّ في المواضع الملتبسة من كتب العظماء إلى من دونهم ، فإذا كانت الكتب ممن دونهم إليهم ترك ذلك في الملبس وغيره ، وإجلالاً لهم عن أن يتوهم عنهم الشك وسوء الفهم ، وتنزيهاً لعلومهم ، وعلو معرفتهم عن تقييد الحروف »[٥٥] .

الشـــدّ :

التضعيف ظاهرة صوتية نظر إليها العرب بعين الاعتبار حينما عبر عن الأصوات بالحروف والحركات ، وكانت من نتائج المرحلة الثانية من مراحل تطوير الكتابة وضع رمز للتضعيف أي الشد ، وقد رسم التشديد بطريقتين :

---

(٥٤) صبح الأعشى ٣/١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٥٥) أدب الكتـــاب ـ الصولي ٥٧ .

طريقة النقط ، وطريقة صورة حرف الشين أو راء من الشين وعلى النحو التالي :

١ ـ الشد بالفتح ـ ويكون على شكل قوس طرفاه إلى أعلى ، أو نصف دائرة أو دال قائمة الجناحين فوق الحرف ـَـ ونقطة في وسطها دلالة على الفتح .

٢ ـ الشـد بالكسر ـ دال مقلوبة ، وترمز النقطة فيها إلى الكسر ـِـ

٣ ـ الشد بالضم هكذا ـُـ وترمز النقطة للضم .

وفي الطريقـة الثانية تكون كالآتي :

١ ـ الشد بالفتح ـَّـ

٢ ـ الشد بالكسر ـِّـ

٣ ـ الشد بالضم ـُّـ

وهو من عمل الخليل بن أحمد حيث انتقل برمز الشد من مرحلة نصف الدائرة إلى رأس الشين وقدم إضافات أخرىٰ إلى الكتابة العربية لم يستطع أحد بعده أن يضيف إليها شيئاً إلى يومنا هذا حيث استوفت كل مقوماتها الوظيفية[٥٦] . فإليه يعود الفضل في وضع الهمز والتشديد في العربية[٥٧] .

« ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد وهي قوس طرفاه إلى أعلى هكذا ـّـ يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور ، وعلى شمال المضموم ـ أما الفتحة فكانت توضع داخل القوس ـّـ والكسرة تحته ـٍّـ والضمة في شماله ـٌّـ ثم استغنوا عن النقط في حالة

---

(٥٦) المجلة العربية للثقافة مارس ١٩٨٣ ص ١٥٣ .

(٥٧) الإتقـان في علوم القرآن ٢/١٧١ .

استخدام الشدة ، وأصبحت الفتحة مع الشدة ـّـ ومع الكسرة ـِّـ ومع الضمة ـُّـ » .

علامات الترقيم :

بعد إدخال الإصلاح الخاص بوضع الحركات ، وتنقيط الحروف جاءت المرحلة الثالثة مكملة للمرحلتين السابقتين ، فقد يلاحظ القارىء أن نفسه عند الوقوف يوجب تقطيع العبارات ، كما أن الأسلوب العربي يقتضي علامات مميزة لكل معنى يقصده المتحدث ، فهناك استفهام (؟) وهناك تعجب (!) وتبيين ، وتفصيل ، وعطف أو وقف . . . إلخ مما يستدعي النظر في النص العربي القديم وضبط كتابته « فقد كان من عيوب الكتابة القديمة رص كلماتها رصاً متجاوراً لا فرجة بينها ، ولا نهاية لجملها ، ولا فواصل تحدها ، مما نشأ عنه تداخل أجزاء الجمل بعضها مع بعض ، واضطراب المعاني »[٥٩] .

ولهذا جاء وضع علامات الاستفهام ، والتعجب ، والفواصل ، والنقطة ، والنقطتين ، والشرطة ، والأقواس ، وغيرها متمماً ومكملاً للاصطلاحات والتطوير الذي أدخل على الخط العربي ، وقد أضيفت في عصور متأخرة ، بل إن علامة التعجب والاستفهام والاقتباس مستحدثة[٦٠] . .

الرسم القرآني ورموزه الصوتية :

« الرسم : أصله الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها ، والوقوف عليها ، والمراد بالمصحف :

---

(٥٩) نشأة وتطور الكتابة الخطية ـ فوزي سالم عفيفي ٩٩ .

(٦٠) انظر في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ١٦٢ .

المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة »[٦١] .

ومصحف عثمان هو المصحف الإمام الذي كتب برسم عربي خال من الشكل والنقط ، لا يجوز لمسلم مخالفته حتى ان أصبحت قراءته في وفاقها مع العربية .

أما الرموز الصوتية في القرآن الكريم فقد ظلت قاصرة عليه ، وهي خاصة به بالرغم مما حصل للكتابة العربية من تحوير وتطوير في رموزها الصوتية فقد اختفت بعض الرموز عن النظام الهجائي في الكتابة غير أنها حافظت على وجودها في القرآن . بل حتى لون المداد الذي خصت به بعض الرموز ، وهو الأحمر والأصفر الذي اختفى من الكتابة ظل معمولاً به في القرآن حتى أوائل هذا القرن ، حيث وحّد المداد الذي تكتب به الرموز مع لون مداد المصحف أي اللون الأسود . « إن رسم القرآن سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة بل بإجماع سائر المجتهدين »[٦٢] .

وينحصر الرسم القرآني في ست قواعد هي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والوصل ، والفصل[٦٣] .

ولسنا الآن في معرض الحديث عنها بالتفصيل ، ومن شاء فليرجع إلى كتاب « إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام » و « الاتقان في علوم القرآن » .

إن « هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة ، وتلقته بالقبول ، بترتيب آياته بل كلماته بل حروفه ليس لنا إلى إنكاره من سبيل »[٦٤] .

(٦١) انظر رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ٩ .
(٦٢) ايقاظ الاعـــلام ١٢ .
(٦٣) انظر الاتقان في علوم القــرآن .
(٦٤) رسم المصحـــف ١٠ .

المعيار العلمي للكتابة السليمة :

إن الحرف العربي الذي كتب به المصحف الإمام ونسخت منه المصاحف الأخرى ورسائل الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين كان حرفاً في صورته البدائية بعيداً عن جمالية الحرف التي مرت بمراحل التطوير بعد النقط والإعجام والحركات .

وقد كان العمل الذي قام به أبو الأسود الدؤ لي ، والخليل بن أحمد ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر وغيرهم عملاً يعد في نظر العلماء المحدثين معياراً للكتابة السليمة أو ما يسمى بـ « الكتابة الصوتية » أو « الكتابة القونيمية » التي من شروطها :

١ ـ أن يكون لكل صوت « قونيم » رمز خاص به .

٢ ـ وألاَّ يكون للصوت الواحد أكثر من رمز واحد يعبر به عنه[٦٥] .

وإذا انخرم أحد هذين الشرطين ، غد ذلك عيباً في الكتابة بالمقياس العلمي ، ولذلك روعي أن تشتمل حروف الهجاء على حرف يدل على أكثر من صوت واحد ، كما هو وارد في حرف الجيم العربية والباء ، أما في الانكليزية فنجد صوت الحركة الممالة e يعبر بها عن أصوات كثيرة ، فقد يعبر بها عن الكسرة الممالة كما في لفظة men كما تعبر عن الكسرة الصريحة في لفظة Women وتعبر عن صوت الحركة المتوسطة كما في لفظة the ولفظة writen وعن

---

(٦٥) انظر المجلة العربية للثقافة ، السنة الثالثة العدد الرابع مارس ١٩٨٣ .

صوت الكسرة الطويلة في لفظة be وهـذا ما يـدعى بضعف التمييز Under differentiation

أما العيب الثاني الذي نجده في الكتابة « فهو أن تستعمل حروف الهجاء على صوت واحد يعبر به بحروف كثيرة ، ونجد لهذا أمثلة كثيرة في اللغة الانجليزية أيضاً من ذلك صوت الكاف الذي يرمز إليه حيناً بـ K كما في كلمة book ويرمز حيناً بـ C كما في كلمة case .

وحيناً ثالثاً يرمز له بـ ch كما في كلمة character وحيناً رابعاً يرمز له بـ q كما في كلمة cheque ومثل هذا العيب يسميه علماء اللغة Over differentiation وأمثلة كثيرة أيضاً في اللغة الانجليزية[٦٦] .

إن تطبيق المعيارين السابقين على الكتابة العربية قبل مرحلة الإعجام أي حتى النصف الأول من القرن الأول الهجري يعطينا صورة واضحة للفكر العربي الخلاق والإبداع الذي يتميز به لغويي العربية الذين خلّصوا الأبجدية العربية من بعض المشكلات الصوتية فبعد أن كانت ستة أحرف منها تعبر عن اثنين وعشرين صوتاً أصبح بفضل جهود علمائنا لكل صوت رمز خاص به باستثناء بعض الأصوات في اللهجات العربية المعاصرة حيث تشترك بعض الأصوات في حرف واحد كالباء المهموسة (p) والجيم القاهرية (g) والجيم العراقية والكويتية (j) والكاف التي تناظر الجيم في العراقية والكويتية في مثل « كلب » = « تش » وغيرها .

إن الأصوات التي نطلقها في كلامنا خاضعة للتحليل والتسجيل والدراسة وهي أمور يختص بها علم الأصوات ، ويهتم بدراستها في ضوء ما يسمى

---

(٦٦) المصدر السابق .

بـ « الأبجدية الصوتية » التي تعنى بإيجاد رموز لتلك الأصوات نطلق عليها الكتابة الصوتية .

يقــول الدكتور محمود السعــران[٦٧] :

« وقد بذلت محاولات كثيرة لوضع نظام من الرموز للكتابة الدقيقة الصالحة لتقرير نتائج الدراسة الصوتية وملاحظاتها ، فهذه النتائج والملاحظات لا بد أن توضع بصورة مكتوبة كي يمكن الرجوع إليها والمناقشة فيها . . . » .

ومن ثم أتى الدكتور السعران في حديثه عن النظم للكتابة الصوتية ، ومنها نظام « الكلام المنظور الذي وضعه بل Graham Bell وتطبيق هذه الطريقة من قبل هنري سويت (١٨٤٥ ـ ١٩١٢م) ورموز هذه الألف باء الصوتية ـ كما وصفها الدكتور السعران ـ « عبارة عن رسوم تخطيطية مبسطة واصطلاحيات لأعضاء الكلام عند نطق الفونيمات المختلفة ، ذلك أن « بل » رمز لكل فونيم برسم تخطيطي لبعض أعضاء النطق الأساسية في تكوين هذا الفونيم ، ولكن هذه الطريقة لم يقدر لها الاستمرار والشيوع فهي معقدة ، وصعبة الكتابة ، كما أنها كثيرة النفقة في الطباعة » .

أما الطريقة المعقدة الأخرى فهي « طريقة العالم الدانمركي أوفويسيو سن المسماة الخط الألف بائي » . هذه الطريقة تمثل الفونيم الواحد لا يرمز واحد ولكن بمجموعة كاملة من الرموز . . . »[٦٨] .

ولم تنجح هذه الطريقة لصعوبة الكتابة بها ، وتمثيل جميع ما هو منطوق .

أما الطريقة الأخرى في الكتابة الصوتية فتدعى « ألف باء الجمعية الصوتية

---

(٦٧) علم اللغة د . محمود السعران ١٢٦ .

(٦٨) المصــدر نفســه ١٢٧ .

الدولية » وهي تمثل جهود مجموعة من العلماء من أمثال إليس Ellis وهنري سوسيت ، وباسي Passy ودانيال جونز . « وضع هنري سوسيت نظاماً بسيطاً من الكتابة الصوتية بناه على الألف باء اللاتينية ، وسماه « الخط الرومي » لاستعماله جوار الكلام المنظور الذي وضعه بل . وعندما أصبحت عند سويت فكرة الفونيم أدرك أن (الخط الرومي) من الممكن أن يظل وافياً بالغرض لو بسط تبسيطاً كبيراً . ولهذا فقد استعمل سويت صورة مبسطة من هذا الخط تشتمل على رمز واحد لكل فونيم . وسماه الخط الرومي الواسع أو العريض . ولكن سويت ظل يعتقد أن الصورة الأشد تعقيداً من هذه أي (الخط الرومي الضيق) كانت أدق شيئاً ما أم أكثر ملاءمة للأغراض العملية »[٦٩] .

ولهذه الطريقة مرونة في الاستعمال من قبل أي لغة فهي لم تضع رموزاً للغات الأوربية وحدها بل وضعت رموزاً يمكن استخدامها بشيء من التعديل والتحوير بحيث تستطيع أية لغة استخدامها بسهولة .

عيوب الخط ومشكلاته ومقترحات إصلاحه :

تحدثنا فيما سبق عن العيوب الأولى التي رافقت وجود الحرف العربي متمثلة في النقط أو الإعجام والحركات ، وقد عولجت خلال القرنين الأول والثاني للهجرة .

أما العيوب أو المشكلات الأخرى التي بقيت بحاجة إلى إصلاح أو تهذيب فيمكن حصرها في الآتي من الملاحظات :

١ ـ ان الحرف العربي المنطوق يختلف عن المكتوب ، فالمكتوب عارياً من

---

(٦٩) علم اللغـة ـ السعران ١٢٩ .

الحركات يقود إلى اللحن والخطأ لا سيما عند المبتدئين وقليلي الثقافة ، كما أن احتمالات الخطأ في الشكل كبيرة جداً حينما تختلط صور المفردات إذ لا مميز لها سوى الشكل .

٢ - تعدد صور الحرف الواحد في الكتابة العربية حسب موقعه في اللفظ يخلق كثيراً من المصاعب والجهد في تعليم الصغار الأبجدية العربية فالتركيز على الحرف لو كان لا يحتمل غير صورة واحدة يقود إلى الفهم السريع لصورته بينما يظل الطفل في حيرة من أمره خلال تعلمه للصور التي تكتب بها بعض الحروف كحرف الباء أو الياء والهمزة مثلاً .

٣ - مشكلة الظاء والضاد في العربية تثير كثيراً من الصعوبات في إيجاد الفروق بين صوتيهما بالرغم من الدراسات والرسائل الكثيرة التي قام بها العلماء على مر العصور لتحديد المشكلة واحتوائها ، وكذلك بين صوتي السين والصاد .

٤ - التباين بين اللغة الفصيحة واللهجات المحلية خاصة في أصوات المد القصيرة يؤثر كثيراً في فهم الأوزان العربية إذا جردت اللفظة من الشكل .

٥ - التقارب في صور بعض الحروف في الرسم يقود إلى التحريف في الكلام كالذي يحصل بين الراء والدال ، والحاء والميم وغيرهما .

٦ - ان الإصلاح في المرحلة الثانية الذي تحدد في نقط الحروف لتمييز المتشابه منها في الصورة كالثاء والياء والباء والنون والراء والزاي والدال والذال . . . إلخ أوجد مشكلة أخرىٰ اعقبت المشكلة الأولى في الخط العربي بدأت منذ ذلك الحين وبقيت مستمرة حتى وقتنا هذا وأوجدت

ما يسمى بالتصحيف ، وهو نتيجة تغيير موضع النقط كأن تزحف النقطة من حرف منقوط إلى حرف غير منقوط أو تزيد في بعض الحروف وتنقص في حروف أخرى . زد على ذلك أنها تقلل من حرية الكاتب في الإسراع في إنجاز الكتابة المطلوبة لكثرة الجهد المبذول في التنقيط .

أما المقترحات[٧٠] التي قدمت لإصلاح هذه العيوب أو تجاوزها ، وعلاج المشكلة القائمة فهي كثيرة ومتعددة تعدد المقترحين غير أن كثيراً من هؤلاء نظر إلى المشكلة من زاوية معالجتها معالجة لا تمس لب الموضوع ، كما انهم لم يصرحوا بالإعلان عن علاج المشكلة من جذورها ، ولم يعلموا أنهم بمقترحاتهم هذه جنحوا عن مبدأ الغيرة على عربيتهم والتقوا مع أعداء الأمة بإسهامهم بعملهم هذا في قطع حبال الوصل بين حاضر أمتنا وغابر حضارتنا . ولهذا نجد تلك الدعوات غير المدروسة لا تختلف كثيراً عن الدعوات المضللة التي تريد النيل من تراثنا الخالد .

كما يجب ألاَّ يغيب عن أذهان المهتمين والغيورين على العربية ما للقرآن الكريم من أثر في تطور البحث اللغوي والدراسات اللغوية بعامة ، وما له من أهمية كبيرة في الحفاظ على لغتنا ومدها بأسباب البقاء ، لذا فإن أي إصلاح منشود أو تطوير يضعف هذا الجانب وينظر إلى ذلك بمعزل عن القرآن الكريم لا يكتب له النجاح لا سيما أن الرسم القرآني ظل محافظاً على صورته الأولى منذ أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وان أي تغيير يمس الجانب الشكلي في

---

(٧٠) بشأن محاولات التيسير يراجع مقال الدكتور محمود فهمي حجازي « تيسير الكتابة العربية » المنشور في « حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية » بجامعة قطر ـ العدد الخامس ١٩٨٢ ، وفيه قائمة حصرية لأهم المحاولات في مجال تيسير الكتابة العربية ، وهو جهد موفق في حصر المحاولات التي امتدت ما بين عام ١٨٨٥ ـ ١٩٧٧ .

رسم المصحف يساعد في قطع الصلة مع الدراسات القرآنية ويعرض الإسلام للخطر ، كما أن التحوير الذي ينشده بعض المغرضين في صورة الرسم العربي يعمق المشكلة ويزيد من بعدنا عن تراثنا الخالد لا سيما أن كثيراً من جوانبه لا تزال مخطوطة لحد الآن ، فإذا أقيمت دعوة أو اقتراح لإعادة كتابة تراثنا المكتوب بالرسم المقترح فإن ذلك يدعو إلى العجب ، وإذا ما أثير اقتراح آخر بدراسة التراث بالحرف الحالي والبدء بالحرف الجديد من الآن فهذا أعجب ! إذ كيف يمكننا أن نكتب بصورتين لكل حرف قديمة وجديدة ، ونحن ندعو إلى التيسير ؟!

يقول الدكتور رمضان عبد التواب : « وقد أوقعهم في هذا الخطأ ، أن الكتابة العربية لا ترمز إلى الحركات أو أصوات العلة القصيرة ، في بنية الكلمة ، وإنما توضع رموزها في الخط فوق الحرف أو تحته ، فتوهموا لذلك أنها تابعة للحرف ، وليس رمزاً لصوت مستقل تمام الاستقلال ، لا يقل في شأنه عن رمز الحرف للأصوات الصامتة »[٧١] .

إن الفصل بين الصورة المكتوبة والصورة المنطوقة أدى إلى وقوع الخلط والخطأ في بعض الأحكام اللغوية ذلك « أن اللغويين العرب القدامى قد تأثروا في بعض الأحيان بالصورة المكتوبة ، وغفلوا عن النطق فوقعوا لذلك في أوهام كثيرة في قواعدهم ، وقوانينهم وأحكامهم اللغوية »[٧٢] .

ولعل ما ذكره الدكتور رمضان في قصور العرب في دراساتهم لحروف العلة حدد المشكلة التي وقعوا فيها متمثلة في نظرتهم إلى حروف العلة حيث جعلوها

---

(٧١) فصول في فقه العربيـــة ٣٥٣ .

(٧٢) المصـــدر نفسه .

تابعة للأصوات الصامتة مستنداً إلى قول سيبويه[٧٣] : « لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف ، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة ، وما عبر عنه ابن جني[٧٤] بقوله : « إن الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه » وقوله : « لما كان الحرف قد يوجد ولا حركة معه ، وكانت الحركة لا توجد إلاَّ عند وجود الحرف ، صارت كأنها قد حلته ، وصار هو كأنه قد تضمنها » .

غير أن الدراسات اللغوية اللاحقة أثبتت أن ما تصوروه كان خطأً وأن الحركات تعبر عن أصوات مستقلة ، ولكن التطور في الدراسات الصوتية جعلهم يعدلون عن المفهوم الذي كان شائعاً من قبل في عدهم حروف المد أصواتاً صامتة في مثل : يدعو ، وقام ، والقاضي لهذا وضعوا قبل الألف فتحة وقبل الواو ضمة وقبل الياء كسرة بينما تكون هذه الحروف رموزاً للحركات الطويلة ، فالألف رمز للفتحة الطويلة والفاء رمز للكسرة الطويلة ، والواو رمز للضمة الطويلة . وقد وقعوا في هذا الخطأ أيضاً بسبب أن الخط العربي يرمز للحركات الطويلة برموز في داخل بنية الكلمة بعكس الحركات القصيرة »[٧٥] .

وما نجده في رسم المصحف هو بقايا نظام الكتابة القديمة عند العرب يوم كانوا يعدون حروف العلة أصواتاً صامتة قبل أن تدل على الحركات الطويلة ، ومثل ذلك نجده في كتابتنا العربية اليوم نجد في « هذا » و « لكن » و « ذلك » . . . إلخ .

---

(٧٣) الكتاب ٢/٢٩٥ .

(٧٤) سر الصناعة ١/٣٢ ، ٣٧ .

(٧٥) فصول في فقه العربية ٣٥٤ .

وآخر هذه الدعوات ما أثاره الدكتور أحمد سعيدان في مقاله « حول أبجدية عربية صالحة »[٧٦] الذي ادعى أن الحرف العربي لم يواكب حاجات الطباعة والكتابة الآلية مفيداً أن صور الحرف العربي تقدر بأربعمائة وخمسين شكلاً ، وهو يقترح أن تدخل في أبجديتنا حروفاً جديدة ترمز إلى أصوات ثلاثة تكثر في نطقنا هي : G, P, V[٧٧] وهو « يدعو إلى الكتابة بحروف متطورة منفصلة ، تمتد رأسياً ، لا أفقياً » ونحن لا نميل إلى هذا الرأي ، كما لا نميل إلى كل ما يسيء إلى لغتنا شكلاً وطريقة في الكتابة إذ « لا مناص من التشبث بنظام الكتابة العربي لأنه تاريخنا وحياتنا اللغوية وقد حمل إلينا اللغة بكل أمانة ، رغم كل ما يقال عنه ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه كان عقبة في سبيل تقدم العربية كلغة علم وحضارة ، وفن وأدب . . . »[٧٨] .

إن الدعوات المتشككة بالحرف العربي ، والمؤمنة بالحرف اللاتيني وضرورة هجرة العربي إليه ينقصها الاتزان وصحوة الضمير للوقوف على مكنونات التضليل التي يتستر وراءها كتاب عرب وأجانب وجدوا في العامية سلاحاً للوقوف في وجه لغة القرآن فدعوا إليها وإلى اللاتينية ، فدعوة سلامة موسى ، وسعيد عقيل وآخرين غيرهما لم يكتب لها النجاح ، ولن ترى بين حماة العربية من يستمع إليها ، كما لم يكن من قبل من أخذ بدعوة جميل صدقي الزهاوي في وضعه صورتين للخط العربي واحدة للكتابة والثانية للطباعة وفي هذا عودة إلى التعقيد لا التيسير[٧٩] .

---

(٧٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد المزدوج ٣ ـ ٤ السنة الثانية جمادى الأولى ١٣٩٩هـ/ نيسان [ابريل] ١٩٧٩م .

(٧٧) انظر مقال الدكتور أحمد نصيف الجنابي « الأبجدية العربية متكاملة وصالحة » في مجلة المجمع العلمي العراقي م٣١ ج٣ شعبان ١٤٠٠هـ تموز (يوليو) ١٩٨٠م ، وقد أخلصه للرد على مقال الدكتور سعيدان .

(٧٨) المنهج الصوتي للبنية العربي ١١ .

(٧٩) انظر الخط الجديد ٩ .

مصـــادر ومراجـــع البحـــث

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ـ مط حجازي ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٢ ـ أدب الكتاب ـ الصولي ـ تحقيق محمد بهجة الأثري ـ المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٢ .

٣ ـ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي ـ سهيلة الجبوري ـ مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٧ .

٤ ـ أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ـ يحيى ثامي ـ مجلة كلية الآداب ـ الجامعة المصرية م ٣ ج ١ .

٥ ـ الاصمعيات ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

٦ ـ أطوار الثقافة والفكر ـ علي الجندي .

٧ ـ انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ـ عبد الفتاح عبادة ـ مصر ١٩١٥ .

٨ ـ ايقاظ الاعلام ـ الشيخ محمد حبيب الله ـ مكتبة المعرفة ـ ط ٢ سوريا ١٩٧٢ .

٩ ـ البحث اللغوي عند العرب ـ د . أحمد مختار عمر ط ٢ مط أطلس ـ القاهرة ١٩٧٦ .

١٠ ـ تاريخ الخط العربي وآدابه ـ محمد طاهر الكردي ط ١ ١٩٣٩ .

١١ - تاريخ العرب قبل الإسلام - د . جواد علي - مط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧ .

١٢ - تاريخ اللغات السامية - إسرائيل ولفنسون - دار القلم - بيروت ١٩٨٠ .

١٣ - الخط الجديد - جميل صدقي الزهاوي - مطبعة المقتطف بمصر ١٨٩٦ .

١٤ - الخط العربي وتطوره في العصور العباسية - سهيلة الجبوري - مط الزهراء .

١٥ - التنبيه على حدوث التصحيف - حمزة الأصفهاني تحقيق محمد أسعد طلي - مط الترقي دمشق ١٩٦٨ .

١٦ - تيسير الكتابة العربية - د . محمود فهمي حجازي .

١٧ - ديوان حاتم الطائي - صنعة يحيى بن مدرك الطائي - تحقيق عادل سليمان جمال - مط المدني القاهرة .

١٨ - ديوان سلامة بن جندل - تحقيق فخر الدين بن قباوة - ط ١ مطبعة الأصيل حلب ١٩٦٨ .

١٩ - ديوان عبيد بن الأبرص - دار صادر - بيروت .

٢٠ - ديوان عنترة - تحقيق محمد سعيد مولوي - المكتب الإسلامي .

٢١ - ديوان لبيـد - دار صادر - بيروت .

٢٢ - سر صناعة الاعراب - ابن جني - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - البابي الحلبي ١٩٥٤ .

٢٣ - السمات الحضارية في شعر الأعشى - زينب العمري - مطابع دار الهلال بالرياض ١٩٨٣ .

٢٤ ـ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ـ د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ .

٢٥ ـ صبح الأعشى ـ القلقشندي ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤ .

٢٦ ـ علم اللغة ـ د . محمود السعران ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

٢٧ ـ فتوح البلدان ـ البلاذري ـ مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٧ .

٢٨ ـ فصول في فقه العربية ـ د . رمضان عبد التواب ط ١ القاهرة ١٩٧٣ .

٢٩ ـ فقه اللغة ـ د . علي عبد الواحد وافي ـ ط ٦ لجنة البيان العربي ١٩٦٨ .

٣٠ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ تحقيق رضا تجدد .

٣١ ـ في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ـ أنيس فريحة ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٨٠ .

٣٢ ـ كتاب سيبويه ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون .

٣٣ ـ اللغة العربية عبر القرون ـ د . محمود فهمي حجازي ـ مط دار نشر الثقافة ـ القاهرة ١٩٧٧ .

٣٤ ـ المجلة العربية للثقافة ـ مارس ١٩٨٣ « الحرف العربي واللغات الافريقية » السنة الثالثة ـ العدد الرابع .

٣٥ ـ المحكم في نقط المصاحف ـ أبو عمرو الداني ـ تحقيق عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٠ .

٣٦ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الرجاء للطبع والنشر ١٩٣٨ .

٣٧ ـ المفضليـــات ـ ط دار المعارف .

٣٨ ـ مقدمة ابن خلدون ـ ط دار الكشاف ـ بيروت .

٣٩ ـ المقنع ـ لأبي عمرو الداني ـ مط الترقي ـ دمشق ١٩٤٠ .
٤٠ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ـ د . عبد الصبور شاهين .
٤١ ـ نشأة الخط العربي قبل الإسلام ـ صلاح الدين المنجد .
٤٢ ـ نشأة وتطور الكتابة الخطية ـ فوزي سالم عفيفي ـ القاهرة ١٩٨٠ .
٤٣ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ ط ١ مط السعادة بمصر ١٩٤٨ .